تأ ثير الأمثال الإسلامية والعربية فى النفوس البشرية

(أ. وان حسن وان مت)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد،

فالأمثال تشكل ركيزة وقاعدة لا يستهان بها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ولا يفوتنا أن الأمثال تعد من الأدب الراقي إذا عرفنا أن الأدب هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور. وكثيرا ما نجد أن الأمثال تنطوي على فقرة من الكلام المنثور من النصوص الأدبية التي تعنى بها شعوب المعمورة. والأمثال بأنواعها تعد قاعدة للأحكام العرفية والتقاليد الاجتماعية. وتعد من وسائل الإيضاح والوسائل التعليمية التي تقوم بمهمتها في معالجة الصعوبات اللفظية، وإثارة الاهتمام، وجعل عملية التعليم والتعلم ذات الأثر الدائم، و العمل علي تسلل الأفكار وتماسكها، وتوسيع مجال الخبرات وغير ذلك.

إن الأمثال تكون دائما قسمات واضحة بيّنة لوجه الأمة التي تصدر عنها، ووصف ضمني لوسائل حياتها وطرق معيشتها، وفضلا عن ذلك، أنها تكون كاشفة الأقنعة عن نفسيات الشعوب، ورافعة الحجب عن طبائع الأمم، فنرى فيها النفوس البشرية في صفاتها وفطرتها الأولى.

فنحن نتناول في هذا المقال تلك "الأمثال الإسلامية" التى تجسّد تلك القسمات المفصحة عن وجه الأمة وعن مهمتها كوسائل الإيضاح في توضيح الأمور المتعلقة بالدين المنزل من لدن حكيم عليم.

قبل أن نخوض بوجه مخصوص في الأمثال الإسلامية لا بد لنا من التعريف بالأمثال العربية بوجه عام لغة واصطلاحا، حتى لانخرج من حدوده، يعنى (حدود الأمثال العربية و الأمثال الاسلامية).

وبالطبع إن الأمثال الإسلامية المستخرجة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هى جزء لايتجزى من الأمثال العربية، ولكن شأنها أرفع من شأن سائر الأمثال العربية، لأنها مأخوذة من لغة القرآن والسنة، فإنها تحتل مكانتها اللائقة، وهى الأولى فى الاعتبار بكونهما: (القرآن والسنة) مصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية.

أ. التعريف اللغوي للأمثال العربية : المثل قولٌ جُعِلَ كالعلم للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير:

كانتْ مواعيدُ عَرقوبٍ لها مثلاً # وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصلح من المواعيد.

ب. التعريف الاصطلاحي: المثل هو اللفظ الذي يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معنى ذلك اللفظ، وتجتمع في المثل أربعة خصال لا تجتمع في غيره من الكلام :

إيجاز اللفظ و إصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية.

ومن خصائص المثل كما بينها الأستاذ عز الدين: المِثَلُ هُوَ الصُّورَةُ الصَّادِقَةُ لِحَالِ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ فَفِيْهِ خُلاَصَةُ الخِبْرَاتِ العَمِيْقَةِ التِي تَمَرَّسَتْ بِهَا عِبْرَ السَّنَوَاتِ الطَوِيْلَةِ منْ حَضارَتِهَا وَهُوَ الخُلاَصَةُ المرَكَّزَةُ لِمُعاَنَاتِهَا وَشَقَائِهاَ وَسَعَادَتِهَا وَغَضَبِهَا

وَرِضَاهَا ، نَجِدُ فِي طَيَّاتِهِ مُخْتَلِفَ التَّعَبِيْرَاتِ التِي تُمَثِّلُ حَيَاةَ مُجْتَمَعِهَا وَتَصَوُّرَاتِ أَفْرَادِهَا بِاَسَالِيْبَ مُتَنَوِّعَةٍ وَطُرُقٍ مَتَعَدِّدَةٍ كَالسُّخْرِيَّةِ اللاَذِعَةِ وَالحِكْمَةِ الرَادِعَةِ.

فالمثل عند أهل الكلام نهاية البلاغة والفصاحة، فالأمثال توضح الأقوال ويتبيّن المراد بالقرائن.

إذْ أنّ الدارس يتمثل الصور البلاغية التي أفرغها فيها أصحابها أنفسهم، باعتبار أن أمثال العرب وأقوالهم المأثورة وحكمهم السائرة كانت ثمرة تجاربهم، وإذْ كان الكثير منها منارات يهتدي الناس بها، في حياتهم اليومية، مما لا غنى للدارس والباحث عن فهمهما والإحاطة بها لغوياً، وتاريخياً، وأدبياً.

لقد جاء في القرآن الكريم من ضرب الأمثال واستعمال مشتقات كلمة "مثل"١٨٤مرة، منها الآيات التالية:

الآية الأولى:

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

الآية الثانية:

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ .

الآية الثالثة:

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ . (سنقوم بتحليل هذه الأية فيما بعد).

وكذلك قول سيدنا النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم: (إنّ الله وقّتَ لكم الآجال وضرب لكم الأمثال).

وهكذا نرى الأمثال والتمثيل تُشّكل ركيزة وقاعدة مهمة للمستوى اللغوي ذلك لأن المستوى اللغوي كائن متحرك متأثر، ولا يفوتني أن أذكر المستوى الاجتماعي والسياسي ودور المثل فيهما لأنه (المثل) بشقيه الشعبي والفصيح، ومنذ القديم، وحتى يومنا هذا يُعد قاعدة عريضة للأحكام العرفية والتقاليد الاجتماعية في البلدان ومنها الولايات المتحدة الأمريكية، فهي خلاصة منطوق ومفهوم مئات الأمثال التي حملها الإنسان المهاجر من وسط وغرب أوربا وقارتي آسيا وأفريقيا ليستوطن هناك إضافة إلى سكان الأمريكيتين الأصليين من الهنود الحمر المشهورين بالاهتمام الشديد بتقاليد القبيلة ومنها الأمثال.

جمع الأمثال العربية وتدوينها:

لقد اهتم العرب بجمع الأمثال وتدوينها في وقت مبكر، وذلك بعد ما تيسرت الكتابة وسهلت وسائلها وانتشرت بينهم. فحظيت الأمثال بالاهتمام كغيرها من الفنون التي تمثل التراث العربي المجيد. والباحث يجد أن حركة جمع الأمثال القديمة وتدوينها قد مرّت بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: بدأت على أيدي الإخباريين والقصاص، وأول من تذكره المصادر في هذا الشأن هو (عبيد بن شرية الجرهمي اليماني). وقد نسب إليه ابن النديم كتاب اسمه (كتاب الأمثال) فقد جمع ما فُقِدَ من كتب التراث العربي المجيد.

المرحلة الثانية: تبدأ من القرن الثاني الهجري إذْ تحولت حركة جمع الأمثال تدريجياً من أيدي القصّاص والرواة والإخباريين إلى أيدي اللُغويين الذين اشتدت عنايتهم بالأمثال العربية كنماذج جيدة للغة العربية الفصحى، فنشطت حركة تدوين الأمثال عندهم، حتى ليخيل للباحث أن كل لغوي في ذلك العصر كان يشارك في تصنيف الأمثال وجمعها ودراستها، فظهرت في ذلك القرن والذي بعده مؤلفات عدة، ولم يبق لنا من مجموعات القرن الثاني الهجري إلا كتابان أحدهما كتاب (أمثال العرب). فلقد أصبح المثل عند هؤلاء العلماء شاهداً لغوياً نحوياً أسلوبياً، وتميزت المرحلة بميّزة الحرص على الأمثال السائرة المسموعة من العرب والتي يلتقطها اللُغوي بإذنه من بدو الجزيرة، ولا ريب أن كثيراً منها كان منحدراً من العرب عبر عصور سحيقة بعيدة في القدم، وهكذا أعطت هذه ثماراً جيدة في الحقل اللغوي والتراكيب اللُغوية من ناحية البلاغة والأسلوب الأدبي.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة جمع هذا التراث الهائل من الأمثال العربية الذي توزعه مجموعات إخبارية ولُغوية، وتصنيفه في موسوعات عامة تميزت بالترتيب والتنسيق والدقة، فظهرت بذلك معجمات الأمثال عند العرب.

وقد تميزت هذه المرحلة بجمع الأمثال العربية القديمة من العصر الجاهلي حتى القرن السادس الهجري وأصبحت مرجعاً لرواد العلم وطلاب المعرفة – كالنحو والصرف والتراكيب اللغوية والأساليب المختلفة. وقد عني رجال العلوم بمعرفة وقائعها وأحداثها والمناسبات التي قيلت فيها وشرحها.

ولنا وقفة قصيرة مع (كتاب مجمع الأمثال) وهو أشهر كتاب جمع بين دفتيه الأمثال العربية السائرة، ومؤلفه أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني نسبة إلى الميدان، وهي محلة في مدينة نيسابور كان يسكنها، والميداني هذا أديب فاضل، عالم نحوي لغوي شاعر، تُوفي في شهر رمضان المعّظم سنة ٥١٨هـ ، له عدد من المؤلفات أشهرها كتابه (مجمع الأمثال) كذلك كتاب (السامي في الأسامي) وكتاب (الأنموذج في النحو) وكتاب (نزهة الطرف في علم الصرف) ومما قيل في الميداني: "لو كان للذكاء والشهامة، والفضل صورة لكان الميداني تلك الصورة" احتوى كتابه (مجمع الأمثال) على أكثر من ستة آلاف مثل.

أما الأمثال الإسلامية فإنها من مضمون التنزيل من رب العالمين علي النبي المصطفى سيد المرسلين، وكذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم. فجمع الأمثال الإسلامية حصل، وتم بجمع المصدرين الأساسين للشريعة الاسلامية (القرآن والسنة) . أن ظهور الأمثال الإسلامية علي يد اللغويين والمفسرين بعد أن قاموا بالتحليل والتفسير من جوانب لغوية مختلفة وبعد أن تعرفوا على الخصائص والمميزات المعينة التي تمتلكها الآيات والعبارات والأقوال.

الأمثال الإسلامية:

لاريب أن الأمثال الإسلامية مأخوذة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة من الحكماء المسلمين. فيقتَصِر الكلام على ما وردت فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية من أمثال، باعتبارهما مصدرين أساسيين من مصادر التشريع الإسلامي، ثم يليهما القياس فالإجماع.

الأمثال القرآنية:

عرف الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي أن الأمثال القرأنية هي نظم من التنزيل يعرض نمطا واضحا معروفا من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضا لافتا للأنظار ليشبه أو يقارن به سلوك بشري أو فكرة مجردة أو أي معني من المعاني بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير أو لمجرد الاقتداء به أو التنفير منه أو اللابتعاد عنه أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الأخر أو للبرهان على صحة أحدهما وبطلان الآخر.

تناولت الأمثال القرآنية كثيرًا من القضايا التي تحيط بحياة الإنسان في دنياه؛ نحو الكفر والإيمان، والصدق والنفاق، والهدى والضلال، والعلم والجهل، والخير والشر، والغنى والفقر، والحياة فى الدنيا والآخرة، وغيرها .

ومن بين تلك القضايا التي تناولتها الأمثلة القرآنية قضية الحق والباطل، قال تعالى: "أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال" (الرعد:١٧) .

هذه الآية الكريمة في جملتها تبين أن ما يصح ويبقى في هذه الحياة، وينتفع به الناس غاية الانتفاع، إنما هو الحق. وكل ما يخالف ذلك، هو باطل، فلا وزن له ولا قيمة ولا اعتبار، وسرعان ما يزول ويضمحل .

فهذه الآية تتضمن مثلين حسيَّين، يراد منهما إيصال فكرة واحدة، مفادها: أن الحق هو المنتصر في النهاية، وهو صاحب الكلمة الفصل في معركة الحياة، وأن الباطل هو الخاسر والمنهزم في المحصلة؛ فالمثل الأول وهو قوله تعالى: "أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا" مضروب للماء الذي يُنزله الله من السماء، فيتدفق في الأرض، فيملأ الأودية التي تشكل سيولاً جارفة، تحمل معها كل ما تصادفه في طريقها من القش والورق والفضلات وغير ذلك مما لا قيمة له في الحقيقة. ثم إن هذه السيول الجارفة تشكل على سطحها رغوة بيضاء على شكل فقاعات، سرعان ما يتلاشى شكلها، وينطفئ لونها. ويبقى الماء وحده هو الذي ينتفع به الناس، حيث يرفد الأنهار، ويغذي الينابيع، ويحمل معه الخير، فيحلُّ الخصب بعد الجدب، والنماء بعد القحط، والخير بعد الشح .

والمثل الثاني هو قوله تعالى: "ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله" ضربه سبحانه للنار الحامية التي تعرض عليها المعادن بأنواعها، ومنها الذهب والفضة، بقصد إزالة شوائبها وما خبث فيها، وفي أثناء عرضها على تلك النار تطفو على سطحها طبقة سائلة أشبه بالرغوة البيضاء التي تطفو على سطح الماء، لكنها سرعان ما تتلاشى في الهواء وتضمحل هنا وهناك، ويبقى جوهر المعدن الأصيل الذي ينتفع به الناس، فيصنعون منه أدواتهم، ويستعينون به على قضاء حوائجهم .

كذلك الحق والباطل في هذه الحياة؛ فالباطل قد يظهر، ويعلو، ويبدو أنه صاحب الجولة والكلمة، لكنه أشبه ما يكون بتلك الرغوة البيضاء التي تطفو على سطح ماء السيل، والمعدن المذاب، سرعان ما تذهب وتغيب، من غير أن يلتفت إليها أحد. في حين أن الحق، وإن بدا لبعضهم أنه قد انزوى أو غاب أو ضاع أو مات، لكنه هو الذي يبقى في النهاية، كما يبقى الماء الذي تحيى به الأرض بعد موتها، والمعدن الصافي الذي يستفيد منه الناس في معاشهم حلية أو متاعاً .

على أن في الآية الكريمة – غير ما تقدم – وجهاً آخر من التمثيل، ذكره بعض أهل العلم، وهو أن الماء الذي ضرب الله به المثل في هذه الآية، إنما المراد منه العلم والهدى الذي يبعثه الله على عباده عن طريق أنبيائه ورسله ودعاته، فيأخذ الناس منه حظهم، بقدر ما ييسرهم الله له، ويوفقهم إليه. فتكون عناصر التمثيل في هذه الآية – بحسب هذا الوجه – وفق التالي: الماء مراد به العلم والهدى. والأودية مراد منها القلوب التي تتلقى العلم والهدى. وسيلان الأودية بقدرها مراد منه حظ القلوب في قبول وتلقي ذلك العلم. والزبد الذي يطفو على سطح الماء والمعادن مراد منه الأباطيل والشكوك والشبهات والشهوات التي تنتاب الإنسان. وما يبقى من الماء الصافي بعد مضي السيل، والمعدن النقي بعد عرضه على النار مراد منه الحق الذي يبقى على مر الأيام والسنين؛ لأن من صفاته الثبات ومن خصائصه البقاء .

ووجه التمثيل – وفق هذا المسلك – أن السيل الجارف والمعدن المذاب كما يذهب زبدهما هنا وهناك، من غير اكتراث ولا اهتمام، فكذلك الأباطيل والشكوك تذهب من قلب المؤمن وتتلاشى ليحل مكانها الإيمان والهدى، الذي ينفع صاحبه، وينتفع به غيره .

وقد روى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في هذه الآية: هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها. فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: "فأما الزبد فيذهب جفاء"، وهو الشك، "وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"، وهو اليقين، كما يجعل الحلي في النار، فيؤخذ خالصة، ويترك خبثه في النار. فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

وما يستفاد من التمثيل الوارد في الآية يحتوى على عدة أمور:

أولها: أن العاقبة للمؤمنين، وأن الحق هو المنتصر بالتأكيد، وإن كان الواقع يدل على ما يخالفه؛ وأن الباطل لا محالة زائل، وإن كان في يوم من الأيام ممسكاً بالراية ورافعاً لها .

ثانيها: أن العمل الصالح هو الذي يبقى لصاحبه، وهو الذي يرجى منه الخير في الدنيا والآخرة، وأن العمل السيئ يذهب ولا يفيد صاحبه شيئاً .

ثالثها: أن العلم والهدى هو الذي ينفع المؤمن في هذه الحياة، وأن الشك والباطل لا يغنيا ولن يغنيا من الحق شيئاً .

أخيراً، يقول ابن القيم : إن من لم يفقه هذين المثلين، ولم يتدبرهما، ولم يعرف ما يراد منهما، فليس من أهلهما .

وقد قال بعض السلف: كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه، بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: "وما يعقلها إلا العالمون". (العنكبوت:٤٣) .

وهناك أمثال قصيرة وردت فى القرآن لأغراض مختلفة، منها ما ذكر فى هذه الآيات الكريمة:

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ (آل عمران ٩٢)

المقصود من هذه الآية لن تدخلوا الجنة حتى تتصدقوا بأفضل أموالكم وممتلكاتكم.
ويستعمل هذا المثل القرآني للحث على التصدق والإنفاق بأجود أموال المرئ.
ويدل أيضا على أهمية التضحية بكل ما يملكه المرؤ في السعي وراء الأهداف المنشودة حتى ينال كل ما هو المطلوب.

وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ (فاطر ٤٣)

المقصود من هذه الآية أن من يدبر لغيره أمرا سيئا فسوف تعود نتيجة مكره إلى نفسه ووبالا عليه.
ويستعمل هذا المثل القرآني للتحذير من المكر والبغي ونكث العهود.

قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ (الإسراء ٤٨)

المقصود من هذه الآية أن كل إنسان يعمل وفق سجيته وطبعه. فإن كان من الأخيار عمل الخير، وإن كان من الأشرار عمل الشر واقترف الآثام.
ويستعمل هذا المثل القرآني لبيان أن المرء يعمل حسب سجيته وطبعه.

نجد أن الآيات السابقة تعبر أولا عن حالة معينة،ثم تعمم التعبير عن حالة عامة، بل عن حالات إنسانية، وتتجاوز فى الزمان والمكان والبيئة فى التعبير.

الأمثال النبوية:

مبنية علي التعريف الذي قدمه الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي للأمثال القرآنية، فاستنادا إليه يمكن أن نعرف الأمثال النبوية بأنها كل ما صدر عن الرسول صلي الله عليه وسلم من الأقوال يعرض نمطا واضحا معروفا من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التأريخية عرضا لافتا للأنظار ليشبه أو يقارن به سلوك بشري أو فكرة مجردة أو أي معني من المعاني بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير أو لمجرد الاقتداء به أو التنفير منه أو اللابتعاد عنه أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الأخر أو للبرهان على صحة أحدهما وبطلان الآخر. لقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه بمهمة التبيين والبلاغ التي كلفه بها ربه عز وجل بشتى أساليب الإيضاح والتعليم، وبلغت تلك الأساليب الفصيحة ذروتها، حتى أصبحت ضرب المثل.

وضرب الأمثال في البيان النبوي لم يأت لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تزيين الكلام وتحسينه. وإنما جاء لهدف أسمى، وهو إبراز المعاني في صورة مجسمة لتوضيح الغامض وتقريب البعيد وإظهار المعقول في صورة المحسوس. كما أن ضرب الأمثال أسلوب من أساليب التربية يحث النفوس على فعل الخير ويحضها على البر ويدفعها إلى الفضيلة ويمنعها عن المعصية والإثم. وهو في نفس الوقت يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم. لأجل ذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم طائفة من الأمثال في قضايا مختلفة وفي مواطن متعددة.

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ليكون التأثر بتلك الصورة أشد

وأقوى من الأفكار المجردة، كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم حتى ضربت فيه الأمثال ببعض الأشياء التافهة، كما في قوله تعالى: "إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين" (البقرة:٢٦) .

والرسول عليه الصلاة والسلام كان يمر بآيات الأمثال المضروبة للناس، ويجد أثرها في الرد والتحدي والترغيب والترهيب. وكان يعرف دور المثل ومكانته عند قومه، فلا غرابة إذاً أن يحظى المثل باهتمامه صلى الله عليه وسلم مادام وسيلة من الوسائل التي تعينه على أداء هذه المهمة.

والمتأمل للأمثال النبوية يجد التنويع صفة ظاهرة فيها. فقد نوّع صلى الله عليه وسلم في الممثِّل وضارب المثل نفسه. فتارة يسند ضرب المثل إلى نفسه صلى الله عليه وسلم كما في حديث البخاري الذي مثل فيه حاله مع الأنبياء قبله. وتارة يسند ضرب المثل لله عزّ وجلّ كما في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً..) الحديث. وتارة يسند ضربه للملائكة كما في حديث البخاري في قصة الملائكة اللذين جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم والشاهد فيه أنهم قالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فضربوا مثلاً لحاله مع أمته.

ونوّع صلى الله عليه وسلم كذلك في موضوع المثل والغرض الذي سيق لأجله، فضرب الأمثال في مواضيع متعددة ولأغراض شتى من أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والزهد والعلم والدعوة وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب وغير ذلك .

ونوّع صلى الله عليه وسلم في أسلوب العرض وطريقة ضرب المثل. فاتخذ لضربه طرقاً متعددة وأساليب مختلفة. وسلك في ذلك كل ما من شأنه إيضاح المراد وإبرازه ماثلاً أمام الأعين. فمن تلك الأساليب استخدامه للإشارة التي تلفت أنظار السامعين وتعينهم على الفهم. وفيها تشترك أكثر من حاسة في العملية التعليمية. فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، فيكون ذلك أدعى للتذكر كما في البخاري في الحديث الذي أشار فيه النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعيه عندما أراد أن يقرر أن بعثته مقاربة لقيام الساعة. ومن ذلك أيضاً استعانته بالرسم التوضيحي كوسيلة من وسائل التعليم والإيضاح عندما تحدث عن قضية اتباع سبيل الله وصراطه المستقيم والتحذير من سبل الشيطان الأخرى .

وقد حرص صلى الله عليه وسلم على ضرب المثل في الأحداث والمواقف المتعددة لأهداف تربوية. ففي بعض المواقف كان يكفيه صلى الله عليه وسلم أن يرد رداً مباشراً لكنه آثر ضرب المثل لما يحمله من توجيه تربوي، وسرعة في إيصال المعنى المراد وقد لا يؤدي غيره دوره في هذا المقام فيراه الصحابة مرة نائماً على حصير وقد أثر الحصير في جنبه فيقولون له : " يا رسول الله لو اتخذنا لك غطاء فيقول :(مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) كما في الترمذي. حتى المشاهد التي تمر في حياة الناس، فلا يلتفتون إليها، ولا يلقون لها بالاً، يجد فيها صلى الله عليه وسلم أداة مناسبة للتوجيه والتعليم وضرب الأمثال بها. يمر ومعه الصحابة على سخلة (ولد الشاة) منبوذة (مرمية) فيقول لهم: (أترون هذه هانت على أهلها فيقولون يا رسول الله من هوانها ألقوها فيقول صلى الله عليه وسلم " فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها" رواه أحمد .

هذه الشواهد – وغيرها كثير – تؤكد مكانة الأمثال في السنة النبوية واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بها وضرورة الاعتناء بالأمثال النبوية جمعاً وتحليلاً ودراسة والاستفادة المثلى منها في مناهجنا التعليمية وبرامجنا التربوية و الدعوية.

دعوة الإسلام ورسالته من القضايا المهمة التي عني النبي صلى الله على وسلم ببيانها وإيضاحها للناس، وضرب الأمثال لها، فبين عن طريق ضرب المثل أهداف هذه الدعوة، ومواقف الناس منها، والنتائج المترتبة على اتباعها في الدنيا والآخرة و الآثار السيئة التي سيجنيها من يرفض هذه الدعوة أو يخالفها. فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص على هداية الناس، وإرادة الخير لهم، ولم يبعث إلا لما فيه نفعهم وسعادتهم في معاشهم ومعادهم .

ومن هذه الأمثال النبوية التي بين فيها صلى الله عليه وسلم أقسام الخلق ومواقفهم بالنسبة إلى دعوته، وما بعث به من الهدى والعلم، ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري المتفق عليه، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قَبِلتِ الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" رواه البخاري .

ففي هذا الحديث مثل الرسول صلى الله عليه وسلم الناس وتفاوتهم في قبول رسالته

والعمل بها بالأرض في اختلاف تقبلها للماء وانتفاعها به. فشبه ما جاء به من الدين والعلم بالغيث الكثير الذي يعم البلاد والعباد من غير أن يستثني بلداً دون آخر أو طائفة دون أخرى، وهو من الكثرة بحيث لا يحتاجون معه إلى طلب المزيد، ويأتي الناس وهم في أشد الحاجة إليه . وكذلك رسالته صلى الله عليه وسلم وما جاء به من العلم والهدى. فقد جاءت لعموم الناس قال سبحانه: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الانبياء:١٠٧) وفيها من الخير والصلاح والكفاية للبشرية ما لا يحققه غيرها من الديانات المحرفة والمناهج الأرضية. وكانت الأوضاع قبل بعثته صلى الله عليه وسلم أشد ما تكون حاجة إلى الإصلاح والتغيير عن طريق رسالة سماوية قال عليه الصلاة والسلام واصفا تلك الحالة التي بعث والناس عليها (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) رواه مسلم . وكما أن الغيث سبب لحياة الأبدان، فإذا هبط على الأرض الميتة منحها الحياة والنضارة والانتعاش. فكذلك الوحي والعلم سبب لحياة القلوب واستنارتها، وإذا هبط الهدى الإلهي على القلوب والعقول بعث فيها روح الإيمان وأضاءها بنور العلم والحكمة .

وقد شبّه صلى الله عليه وسلم اختلاف مواقف الناس في قبول ما بعث به بأنواع الأرض المختلفة حين ينزل عليها المطر، فذكر لها ثلاثة أنواع :

النوع الأول : هي الأرض الخصبة الزكية القابلة للشرب والإنبات، فإذا أصابها الغيث شربت و ارتوت فنفعت نفسها وأنبتت الزروع والثمار فنفعت غيرها، وهذا مثل الطائفة الأولى من الناس وهم الذين تلقوا هذا العلم فتعلموه وعملوا به فانتفعوا في أنفسهم، ثم بلّغوه ونشروه بين الناس فنفعوا به غيرهم، وفي وصف النبي

صلى الله عليه وسلم لهذه الأرض بالنقاء إشارة لطيفه إلى نقاء قلوبهم من كل هوى أو شبهة تحول بينها وبين الانتفاع بالوحي والعلم، ثم إن التمثيل الوارد في الحديث يشير أيضاً إلى الأثر الظاهر لهذا العلم النافع، والمتمثل في الأعمال الصالحة التي تقتصر على العبد نفسه، والأعمال التي يتعدى نفعها وأثرها إلى الآخرين، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (فأنبتت الكلأ والعشب الكثير) فكما أن خروج الكلأ والعشب من هذه الأرض الطيبة بعدما أمطرت هو نتيجة طبيعية، فكذلك صدور الأعمال الصالحة من المؤمن صاحب القلب النقي الذي لم يتلوث بالأهواء والأخلاط بعد سماعه الوحي وعلمه به هو أمر طبعي أيضا، وهم مع ذلك لهم عناية بأعمال الخير المتعدية من تعليم العلم، والجهاد في سبيل الله، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها مما يتعدى نفعه للناس.

وأما النوع الثاني من أنواع الأرض : فهي الأرض الصلبة الجافة التي يستقر فيها الماء لكنها لا تشربه ولا تنبت الزرع. فهذه الأرض غير قابلة للحياة والنماء والخصب. وإنما نفعها في حفظ الماء للناس لينتفعوا به في الشرب والسقي والزرع وغير ذلك، فهي لم تنتفع بالماء في نفسها بل حبسته لينتفع به غيرها. وهذا مثل الطائفة الثانية من الناس التي انصرفت إلى حفظ الشريعة وإيصالها للناس أكثر من انصرافها إلى العمل. فمن الناس من يحمل المعرفة بالوحي والشرع وليس لديه من الإيمان واليقين والشعور القلبي المتيقظ ما يتناسب مع هذه المعرفة، فلا يقوم بالأعمال الصالحة التي تنتظر من مثله، وإنما هو حافظ لعلم الشريعة يؤديه كما سمعه من غير فقه ولا استنباط، ويبلغه لمن هو أفقه منه وأكثر انتفاعاً وتقبلاً وإيماناً، وهذه الطائفة داخلة في المدح، وإن كانت دون الأولى في الدرجة والرتبة،

ولذلك دعا لها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (نضّر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ..... الحديث) أخرجه أحمد .

وأما النوع الثالث من أنواع الأرض : فهي الأرض المستوية الملساء التي لا تشرب الماء، ولا تمسكه فينتفع به غيرها ولا تصلح كذلك للإنبات والزرع. وهذا مثل الطائفة الثالثة المذمومة التي لم تحمل الوحي والعلم ولم تعمل بهما فلا هي انتفعت في نفسها ولا هي نفعت غيرها. وهذه الطائفة يلحقها من الذم بقدر ما فقدت من ذلك الخير، فإن كان صاحبها من الذين أعرضوا عن الدين ولم يدخلوا فيه أصلاً، فهذا هو الكافر الذي يستحق الذم كله، وهو الذي لم يرفع بالإسلام رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان له نصيب من الإسلام، لكنه لم يتعلم العلم ولم يعمل به ولم يبلغه لغيره فيلحقه من الذم بقدر ما فرط فيه .

فهذا المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم يدل على عظمة دعوة الإسلام ورسالته وأنها اشتملت على كل خير ونفع للبشرية وإن وجد من الناس من لم ينتفع بهذه الرسالة ولم يستجب لهذه الدعوة فإن العيب منه لا من الإسلام فإن هذا الانتفاع مشروط بنقاء القلب من كل شبهة أو شهوة تعارضه وفي الحديث أيضاً الحث على تعلم العلم وتعليمه للناس .

خلق الله عباده حنفاء موحدين، ومنذ أن أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض كان معه التوحيد والإيمان، واستمر التوحيد في ذريته عدة قرون حتى اجتالتهم الشياطين، وفسدت الفطر، وظهر الشرك في الناس، فاقتضت رحمة الله عز وجل بعباده إرسال الرسل إليهم لهدايتهم وردهم إلى التوحيد والإيمان وتخليصهم من

الشرك وآثاره. قال سبحانه :"كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم". (البقرة ٢١٣) .

ففي هذه الآية يبين الله عز وجل أن الناس كانوا أمة واحدة أي على طريقة واحدة من الهدى والتوحيد، حتى وقع الانحراف، وطرأ الشرك على الناس، فاستلزم ذلك إرسال الرسل إليهم لردهم إلى جادة الصواب، وإلى أصل الفطرة التي فطروا عليها. فكان أول نداء يوجهه كل نبي إلى قومه" يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره" . ولما كانت الغاية التي بعث بها جميع الأنبياء ودعوا إليها واحدة. ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال عليه الصلاة والسلام : "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوةٌ لعلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد". فهذا الحديث يوضح أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالإخوة لأب، أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد. فقدمثل النبي صلى الله عليه وسلم اتفاقهم في التوحيد والإسلام وأصول الإيمان باشتراك الإخوة لأب في أب واحد، ومثل اختلافهم في فروع الشرائع باختلاف هؤلاء الإخوة في أمهاتهم. إذا فدين الأنبياء عليهم السلام واحد، ودعوتهم واحدة، وهي الإسلام بمعناه العام، الذي يعني الاستسلام لله عز وجل وتوحيده وإفراده بالعبادة دون ما سواه، قال تعالى :"إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران: ١٩) .

كما أن هناك أموراً أخرى اتفقت عليها جميع الأديان والرسالات ودعت إليها، وهي الأخلاق والقيم التي فطر الله الناس عليها، فقد تضمنتها دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يمكن أن يعتريها تبديل أو تغيير أو نسخ، مثلها مثل التوحيد وأصول الإيمان. ومن أمثلة تلك الأخلاق والقيم بر الوالدين وإقامة القسط بين الناس وتحريم الفواحش والظلم وقتل النفس بغير حق وغير ذلك من محاسن الأخلاق. وماعدا ذلك فقد جعل الله لكل رسول شريعة خاصة به لقومه. قال سبحانه:"لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"(المائدة: ٤٨) حتى ختم الله جميع الرسالات والشرائع بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الرسالة الخالدة والشريعة الكاملة الشاملة التي كتب الله لها البقاء والخلود والقيام بمصالح العباد في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال على كمال هذه الرسالة، وكيف أن الله ختم بها جميع الرسالات. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين".

ففي هذا الحديث مثل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموكب الكريم موكب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتعاقب إرسالهم إلى الناس بالبيت الذي أسست قواعده ورفع بنيانه وقد اعتنى صاحبه عناية شديدة بعمارته وتزيينه حتى بلغ الغاية في الحسن والجمال. ولم يبق له إلا موضع حجر في زاوية به يتم هذا البناء ويكتمل حسنه وجماله. فشبه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وما بعث به من الرسالة الخاتمة بهذا الحجر الذي اكتمل به هذا البنيان. فبمبعثه عليه الصلاة والسلام

ختمت الرسالات وتمت الشرائع وقامت الحجة على العباد، وجمع الله عز وجل في هذه الشريعة ما تفرق في الشرائع السابقة من الخير والهدى، فجاءت بجميع مصالح العباد الدنيوية والأخروية، منظمة لنواحي حياتهم المختلفة، مغنية لهم عما سواها في جميع شؤونهم ولو طال بهم الأمد واختلفت الأحوال والظروف حضارة وثقافة وقوة وضعفاً.

ركّب الله عز وجل في الإنسان مجموعة من الغرائز التي يهواها ويميل إليها بفطرته.وذلك لضرورة بقائه على هذه الأرض وعمارتها كميله إلى الطعام والشراب والنكاح وحبه للمال والتملك وغير ذلك مما هو مركوز في الفطر. فقال سبحانه :"زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب". (آل عمران ١٤) ، وليتحقق أيضاً معنى الابتلاء والامتحان الذي من أجله أوجد الله الإنسان في هذه الحياة قال تعالى :"إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً" (الانسان ٢). وهذا الميل الذي ركب في الإنسان هو الذي يطلق عليه الهوى وهو ميل النفس إلى ما تحبه وتهواه من الخير أو الشر. فالهوى في الأصل ليس مذموماً بإطلاق، وإنما المذموم منه ما تجاوز الحد المشروع. فإن مالت النفس إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم، وإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الممدوح.

من طبيعة الإنسان أنه يأمل ويطلع دائما إلى ما يحقق لها السعادة والنجاح ويكفل لها الفوز والفلاح. ويعود عليها بالنفع والمصلحة. وهي تخشى وتضيق من كل ما يجلب لها الشقاء ويعود عليها بالضرر والهم والحزن. ومن هنا كان الترغيب في بعض الأعمال وذكر فضائلها والترهيب من أعمال أخرى وذكر مساوئها له

أثره البالغ في حث النفوس على الخير والفضيلة وإبعادها عن الشر والرذيلة. ففي الترغيب تشويق للعمل، وحث على البذل، وحفز للهمة، وشحذ للعزيمة، وفي الترهيب تخويف، وردع، وتحذير من طول الأمل ودفع إلى تطهير النفس من الأرجاس. من أجل ذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأمثال في أبواب فضائل الأعمال تحقيقا لهذا الغرض ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة نماذج.

الأول في بيان حثه عليه الصلاة والسلام على الصدقة والإنفاق في سبيل الله، وتحذيره من البخل والإمساك. وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد من ثُدَيّهما إلى تراقيهما. فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو – وفرت – على جلده حتى تخفىَ بنانه وتعفوَ أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزِقت كل حلقة مكانها فهو يوسِّعها ولا تتسع". (رواه البخاري) .

ففي هذا الحديث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً للبخيل والمتصدق، حيث شبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعا ليستتر به من سلاح عدوه. وهما الجُبَّتان أو الجُنَّتان كما في بعض الروايات. فأدخل كل واحد من الرجلين درعه من جهة رأسه وعالجها لتنزل على جسمه. والعادة في الدروع أنها تلبس في الصدر لتغطي المساحة بين ثدي الإنسان وترقوته من أجل كمال الوقاية والتحصن. فأما المنفق فهو كمن لبس درعا واسعة ساترة لجميع بدنه فهي من الوسع بحيث يستطيع معها صاحبها أن يمد يده ويتحرك بكل سهولة ويسر. وهي

أيضاً من الطول والستر والحصانة بحيث تغطي جميع جلده وأطراف أصابعه وتخفي كل آثاره. وأما البخيل فهو كمن لبس درعاً ضيقة جداً قد استحكمت عليه حلقاتها فلم تدع له مجالاً لكي يمد يده ويحركها بحريه ولايستطيع مع ذلك أن يوسعها أويتحكم فيها. ومقصود المثل أن الجواد والمنفق إذا همّ بالصدقة انفسح لها صدره وطابت بها نفسه فتوسعت في الإنفاق والبذل بخلاف البخيل الذي كلما همّ بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه. والحديث يشير أيضاً إلى أن الإنسان إذا عود نفسه البذل والعطاء صار ذلك سجية له وعادة. وكذلك إذا عودها الشح والإمساك اعتاد ذلك فلا يستطيع بعدها التخلص منه. ولذلك قيد عليه الصلاة والسلام هذا الدرع بكونه من حديد إشارة إلى أن القبض والإمساك من جِبِلّة الإنسان وفطرته مما يحتاج معه إلى مدافعة ومغالبة.

وأما النموذج الثاني فهو ترغيبه عليه الصلاة السلام في الصلوات الخمس، وحثه على المحافظة عليها، فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أ رأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيء قالوا : لايبقى من درنه شيء قال : فذلك مَثَل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا". (متفق عليه).

ففي هذا الحديث شبه النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في تطهيرها للمسلم من الذنوب بالنهر الجاري في تنظيفه للبدن من الأوساخ. وبدأ المثل بهذا الاستفهام الذي يدل على التأكيد والتقرير. فكما أنه لا يمكن أن يتصور وجود شيء من الأقذار والأوساخ في بدن الإنسان وصاحبه يغتسل كل يوم خمس مرات. فكذلك لا يتصور أن يبقى شيء من ذنوب العبد وخطاياه وهو يتطهر

منها كل يوم خمس مرات بهذه الصلوات المفروضات. ولذلك كان جواب الصحابة رضي الله عنهم يحمل معنى التأكيد فلم يكتف الصحابة بقولهم لا بل أعادوا اللفظ للتأكيد والمبالغة في نفي الدرن. وفي الحديث أيضا تمثيل للذنوب والمعاصي بأنها أقذار وأوساخ يتدنس الإنسان بفعلها. ولذلك فهو يحتاج إلى أن يتطهر منها على الدوام .

وبجانب الأمثال النبوية الطويلة هناك أمثال نبوية قصيرة منها:

قال صلى الله عليه وسلم: "لايلدغ المؤمن من جحر مرتين".

أن العاقل من اتعظ بتجربته والمؤمن البصير مثله كمثل رجل مرّ بجحر لايدري ما فيه، فلسعته حيّة كانت مختفية في الجحر، فعرف خطر هذا المكان فتجنبه. امّا غير العاقل فيعاود المرور بهذا المكان فيصاب مرّة أخري.

ويستعمل هذا المثل النبوي في الحث على أخذ العبرة من التجربة السابقة.

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا".
البيان هو اجتماع الفصاحة وذكاء القلب والبلاغة.
وأمّا السحر فهو إظهار الباطل في صورة الحق للتأثير فى نفوس الآخرين. فالمراد منه هو التأثير فى الكلام،
والمقصود هنا أن الفصاحة تعمل عمل السحر، فهي تؤثر في النفوس، يعنى أنها تأخذ قلوب ذوى القلوب وألباب ذوى الألباب، وتؤثر فيهما تأثيرا بالغا.
ويستعمل هذا المثل النبوي في بيان وصف قوّة البيان وتأثيره في النفوس البشرية.

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: "الناس معادن".

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أكرم الناس قال أتقاهم لله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونني، فقال "الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" .(رواه البخاري).
يستعمل هذا الحديث النبوي لبيان مراتب الإنسان إذ أنها كمراتب المعادن في الرتبة. فمعناه أن أعلي رتبة المعادن الذهب وأعلي رتبة الناس هم الفقهاء أي الأذكياء من الناس.

نجد أن الأحاديث السابقة في البداية تعبر عن حالة خاصة، ولكنها تنطلقن وتعمم بعدها التعبير عن حالة عامة بل عن حالات إنسانية يتجاوز الزمان والمكان والبيئة.

الخاتمة:

فيما سبق نجد أن الأمثال الإسلامية تلعب دورا هاما في تربية العقول الإنسانية نحو الإيمان بالله، وتجعله راسخا في قلوب المؤمنين. وكذلك تعمل نحو تقويم سلوك البشر لكي تستمر وتتوافق بما أمر. ومن هذا المنطلق تناولت كثيرا من الأمثال القرآنية والأمثال النبوية التى لها صلة بالقضايا التي تحيط بحياة الإنسان في دنياه؛ كقضايا الكفر والإيمان، والصدق والنفاق، والهدى والضلال، والعلم والجهل،

والخير والشر، والغنى والفقر، والحياة الدنيا والحياة الآخرة، وغيرها . فللأمثال القرآنية والأمثال النبوية طريقة تربوية قائمة بذاتها، توظف العقل والوجدان وتربيها حين تعمل علي تحقيق أهدافها الاعتقادية والسلوكية، وهي طريقة لها مراحلها وخصائصها وأساليبها. وما علي المربي إلا أن يتعرف على هذه المراحل والخصائص ليعطي كل واحدة حقها من الاهتمام.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.
٢- السنن والأحاديث النبوية.
٣- معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي.
٤- معجم الأمثال العربية للدكتور محمود صيني وآخرين.

٥- رسالة فى "اللغة العربية وثقافة العرب" نال بها الدكتور عبد المحسن علي القيسي شهادة الدكتوراه من كلية اللغات والعلوم اللسانية بجامعة مالايا، كوالا لومبور- ماليزيا.
٦- التربية بضرب الأمثال لعبد الرحمن النحلاوي.
٧- الأمثال القرآنية لعبد الرحمن حسين حبنكة الميداني.
٨- الأمثال من الكتاب والسنة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي.
٩- الأمثال لأبي محمد بن أحمد النيسابوري الميداني.
١٠-رسالة فى "اللغة العربية وثقافة العرب" للدكتور عبد المحسن علي القيسي.